الحديث الثامن والثلاثون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : (إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ. وَمَا تَقَرَّبَ إِلِيَّ عَبْدِيْ بِشَيءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ. ولايَزَالُ عَبْدِيْ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِيْ يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِيْ يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِيْ بِهَا. وَلَئِنْ سَأَلَنِيْ لأُعطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِيْ لأُعِيْذَنَّهُ)
رواه البخاري.

تعريف آذنته

معنى آذنته: أي أعلمته, أو أخبرته, والإذن في اللغة يعني: الإخبار والإعلام.

من هم أولياء لله الصالحين:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: هذا الحديث أشرف حديث بُيّنت فيه صفة أولياء الله سبحانه وتعالى, فقد بيّن الله تعالى فيه من هم الأولياء, وهم الذين يحافظون على الفرائض ويتقربون إلى الله بالنوافل. ثم بيّن قدرهم لديه وبيّن سبحانه وتعالى أنه يعادي بل يحارب من يعاديهم أو يؤذيهم.

وبيّن سبحانه وتعالى الطريق إلى محبته جل في علاه, الذي فيه صلاح الدنيا والآخرة, ثم بيّن سبحانه وتعالى ثمرة هذه المحبة, فإذا أحب الله عبدًا ما الذي سيحصل له من التوفيق والإعانة والتسديد ونحو ذلك فهذا حديث رائع جدًا وعظيم جدًا, وفيه فوائد جمة.

من هم الأولياء؟

معنى الولي: هم سادات العُبَّاد ولا شكّ أن على رأسهم الأنبياء ثم يأتي بعد ذلك الأولياء دون الأنبياء

والفرق بين الأنبياء ومن بعدهم أن الأنبياء معصومون من الخطأ بلا شك, وأما من بعدهم فمازال وارد عليهم الخطأ, ولكن الولي مُقل جدًا في الخطأ.

وهم أصحاب عقيدة قوية وسليمة ليسوا من أهل البدع وكانوا يتقون غضب الله تعالى بفعل الواجبات وترك المحرمات ويزيدون بفعل النوافل وترك المكروهات.

الولي يخاف الله مخلص ومشفق على نفسه وعنده توكل واستعانة ورضا وصبر وأعمال القلوب عالية جدًا لديه. لذلك الولي **ليس له صورة معينة** في مفهومنا الإسلامي, بل قد يكون شخص عاديًا.

طريق الولاية

طـــريق الولاية يكون في الاجتهاد في النوافل بعد إتقان الفرائض, **(لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه).**

كل عبادة في الإسلام لها فرض ونفل. فليس الشأن أن تفعل الكثير من النوافل مرة واحدة ثم تفتر بعد ذلك ولكن **الشأن أن تداوم عليها** حتى وإن كانت يسيرة (أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل).

المداومة على العمل مهمة جدًا وهذا لأنها:

1- تُعـــود النفس على الخير.
2- تشغل القلب عن الشيطان.
3- المداومة قرينة الزيـــادة.

هل تريد أن تعرف إذا كنت تحب لله أم لا

الإدعاء سهل لكن العمل علامة حبك لله والدليل على ذلك أن الصادق في محبة الله تجد عنده شغفًا في إتقان الفرائض ولديه نَهَم في الانطلاق في النوافل ويزيدها ليزداد قربًا ومحبةً من الله.

الله يحب الفرائض فأحسن فيها

«وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه»

إذًا هذا الحديث بيان أن الله سبحانه وتعالى أعلى ما يحب من الأعمال الفرائض, وهذا الحديث يضع لنا أصلًا في أولويات العمل.

وهذا يثمر عندنا تصحيح النظر للفرائض وتعديل بوصلة الأولويات فطريق الأولياء لا جديد فيه وإنما سِر على درب من سبقك كانوا يحسنون الفرائض أولًا ثم يتبعون ذلك بالنوافل.

ثمرات أن يُحبك الله

من الثمرات أن يحفظك الله ويحفظ أعضاءك وأعمالك ويسر لك الطاعة ويصرف عنك السوء ويعينك ويحميك ويستجيب دعاءك ويصعب عليـــــك المعصية.

1- **«سمعه»** فتجد نفسك تحب مجالس العلم والقرآن وتنفر من الأغاني والموسيقى.
2- **«بصره»** وتجد نفسك عندما تمشي في الشارع لا تلتفت للمحرمات وإنما تتفكر في بديع خلق الله.
3- **«قدمه»** وتجد قدمك تمشي للمساجد وتريد الذهاب لحلقات القرآن.
4- **«يده»** تجد نفسك لا تظلم ولا تضرب أحدا وإنما تستعمل يدك في الخير ومساعدة الناس.
5- من الثمرات أيضًا أن الله **يستجيب دعاءك.**
6- إذا خفت من شيء وطلبت الحماية والحفظ من الله يحميك ويضمن لك الرعاية والوقاية.

الحديث التاسع والثلاثون

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: (إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي الخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ)
حديث حسن رواه ابن ماجه والبيهقي وغيرهما.

بيان قدر النبي ﷺ

تأمل في قوله ﷺ «تجاوز لي»،

وكأن هذا الفضل للنبي ﷺ لذلك قيل أن الأمم السابقة لم يكن هذا الحكم فيهم بل كانوا يؤاخذون حتى وإن كان قد وقع الأمر منهم خطأً أو نسيانًا أو إكراهًا، وأن هذه الأمة خُفف عنها الكثير بسبب استجابتها لله.

ففيه فضل النبي ﷺ وشرف هذه الأمة، فهذه الأمة أمة مكرمة ومرحومة ولها من المزايا ما لم يكن لأحد.

المقصود بالعفو هنا

العفو هنا: هو العفو عن حق الله تعالى لا عن حق الآدمي، فإذا كان في المسألة حق لآدمي فلا بد من أداء حقوقه.

الإكراه المُعتبر في الشرع

ذكرنا أن الإكراه نوعان:-

1- الإكراه المُلجئ: وحكمه عند جميع العلماء أن الإنسان ليس عليه شيء.
2- الإكراه بسبب التهديد: هنا يجب أن يكون هناك ضوابط.

ضوابط الإكراه:-

١- أن يكون تهديدًا أو إيذاءً مُعتبرًا.
٢- أن تكون متأكدًا أن من يهددك سينفذ التهديد بالفعل.
٣- أن يغلب على ظنك أن الشخص سينفذ تهديده.
٤- الأشياء التي لا يستطيع أحد إكراهك عليها.
مثل قتل شخص آخر لأن أقصى شيء سيحدث لك هو أن يقتلوك وليست نفسك بأكرم من نفس الآخر ومثله الزنا.

فإذا حدث الإكراه بهذه الضوابط يكون الشخص معفوًا عنه ولو قال كلمة الكفر، وهذا مثل ما حدث مع عمار بن ياسر.

تعريف الخطأ والنسيان والإكراه

الخطأ: هو الشيء الذي وقع منك بغير عمد.
النسيان: هو أنك لم تعمل العمل ولكن ذهولًا عن هذا الشيء الذي كنت تعلمه.
الإكراه: هو أن يجبرك أحد على فعل شيء.

والإكراه نوعان

1- الإكراه المُلجئ تمامًا: فيكون الإنسان كالآلة في هذه الحالة، **وهذا النوع الإنسان ليس أمامه أي اختيار.**
2- يكون للإنسان اختيار ولكنه مضطر كأن يُهدد بضرب شديد أو سجن أو قتل.

وقد عفى الله عن الثلاثة «الخطأ ـ النسيان ـ الإكراه» فضلًا وكرمًا منه سبحانه وتعالى.

ما يمكن استدراكه في حق الله تعالى فاستدركه

إذا كان هناك حق من حقوق الله تعالى وأنت نسيته فاستدركه مادام هناك وقت لاستدراكه. لكن إذا كان الشيء يصعب تـــــــــــــــداركه هنا يعفو الله عنه.

- لذلك غالبًا يأتي العفو في الوقوع في المنهيات لأنه لا يمكن تداركه.
- أما ترك المأمورات غالبًا يمكن تداركه إذا كان ما زال هناك سعة في الوقت وتستطيع تداركه.

الحديث الأربعون

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَنْكِبَيَّ فَقَالَ: (كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ) وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: إِذَا أَمْسَيْتَ فَلا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلا تَنْتَظِرِ المَسَاءَ. وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ..
رواه البخاري.

لماذا ذكر الغريب وعابر السبيل؟

الغريب: هو إنسان سافر لبلد ليعمل بها ويجمع المال لكي يعود إلى بلده ويشتري ما يريد, والأعلى منه «عابر السبيل», فعابر السبيل: ليس مستوطنًا للبلد وإنما فقط يمر عليها.

وفي الحالتين سواء كنت غريبًا أو عابر سبيل ستجد نفسك لست مهتمًا بتفاصيل البلد الغريبة وإنما مهتمٌ بتفاصيل بلدك التي سترجع لها وهذا هــو المسلم غريب فهذا ليس مكاننا ففي النهاية سنموت فإما سنرجع لبيتنا الأول «الجنة» أو النار عياذًا بالله تعالى.

هذا الحديث يصحح لنا مفهومًا وهو عدم الجلوس بدون عمل ولكن يجب العمل.

- وقد تعلمنا في الحديث أنك تنتظر العودة لكن لا تعلم متى تعود لأن الأمر بيد الله فيجب أن تكون مستعدًا في كل لحظة.
- ولن يفرق معك إلا أن تتقوى على السفر فقط وهذا هو ما نفعله في الدنيا.
- وأي شيء يشغلنا عن الوصول نتركه حتى وإن كان مباحًا وهذا هو الزهد.
- «إن لله عبادًا فُطنا طلقوا الدنيا وخافوا الفتن علموا أن السلامة فيها ترك ما فيها فجعلوها لُجى واتخذوا صالح الأعمال فيها سُفنا».

خذ من صحتك لمرضك

لها معنيان:- 1- كل ما كنت بصحتك فاعمل قدر ما تستطيع لأن غدًا لا أحد يضمن ماذا يحدث.
2- أكثر من العمل في الصحة ليُكتب لك حال المرض.

قال ﷺ(إذا مرض العبد أو سافر كُتب له ما كان يعمله صحيحًا مُقيمًا)، ولـــــكن بشرط المواظبة

المواظبة على العمل من ثمراتها:-
- أنه يُكتب لك العمل إذا انقطعت عنه رغمًا عنك بسبب مرض أو سفر.

تغيير مفهومنا في الحياة

هذا الحديث يُغير مفهومنا في الحياه ويؤثر على التصرفات، ففي النهاية «السلوك مرآة الفكر».

فمن فهم هذا الحديث لن يظل طوال يومه يتابع الترندات لأنه هكذا ليس عابر سبيل وإنما مُقيم.
كل هذا وغيره ليس حرامًا ولكننا ليس لدينا رفاهية الوقت فمن الممكن أن يأتي موتنا مساءً.
وهذا يُعالج الحسد والتركيز مع الناس.

فإذا لم تكن في الدنيا كالغريب وعابر السبيل عندما تذهب للآخرة سيُقال لك ليس لك شيء هنا ضاع عليك كل شيء لذلك يجب أن نفهم المغزى من وجودنا هنا ويظهر علينا تقديم الآخرة على الدنيا, ففي النهاية لسنا مقيمين هنا.

خذ من حياتك لموتك

هذا المعنى أوسع من خذ من صحتك لمرضك, فكل ما تستطيع فعله افعله لأن الموت قادم لا محالة ومعاده غير معلوم, لذلك قالﷺ (إذا أصبحت فلا تنتظر المساء وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح). فيجب أن نجدد العهد مع الله كل نصف يوم.

من يعمل بهذه الوصايا يشعر أنه أكثر صلابة في الحياة وأقوى على الشيطان, لكن من يشعر أنها دار إقامة يتضايق ويتأثر بكل شيء وإذا فاتته لذة معينة يشعر وكأن الدنيا اسودت في وجهه.

الحديث الحادي والأربعون

عَنْ أَبِيْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ بِنِ عمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: (لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعَاً لِمَا جِئْتُ بِهِ) حَدِيْثٌ حَسَنٌ صَحِيْحٌ .

أصل عظيم في الاتباع وانقياد القلب لأحكام الشريعة

هذا الحديث هو أصل عظيم في الاتباع وانقياد القلب لأحكام الشريعة وحب الإنسان لهدي النبي ﷺ ومخالفة الهوى.

فالإنسان منازل:

1- من يقوم للعبادة كسولًا غير نشيط.

2- أن يكون الإنسان هواه متفقًا مع الشريعة, فيتعلم ويتأمل في حكمة الله ويرى رحمة الله في عباده, فيرى كل حكم شرعي جميل.

يقول أحد السلف «جاهدت هواي حتى صار هواي في المجاهدة».

• فنحتاج إلى البذل والمجاهدة حتى نصل إلى هذه المنزلة العالية حتى تكون هوىً.

• والهوى: هو ما تميل إليه النفس.

توافق هوى الإنسان مع الشريعة لا يقدح في الإخلاص

إذا وافق هوى الإنسان الشريعة فهذه نعمة من لله.

يأتي شخص ويقول أنا أصلي حبًا في الصلاة فهل هذا لله؟

نقول:- احمد الله أنه رزقك حب الصلاة وأصبح هواك موافقًا للشريعة.

فإذا أحببت العبادات سواءً صلاةً أو حجًا أو عمرةً فمعنى هذا أن الله أكرمك ورزقك حب العبادة وأنها أصبحت هواك وليس معناه أنك تعبد هواك, وهذا لا يتعارض مع الإخلاص.

المقصود ب(لا يؤمن) في هذا الحديث

ليس المقصود ب(لا يؤمن) في هذا الحديث أنه كافر بل المقصود, أنه لا يؤمن الإيمـــــان الكامل وهذا قد مرَّ علينا في الأحاديث السابقة كثيرًا وهو **«أنَّ نفي الإيمان هنا ليس نفيًا للإيمان بل هو نفيٌ لكمال الإيمان».**

• فمن لم يكن هواه متسقًا مع مراد الله فهذا يُنقص من إيمانه بقدر هذه المخالفة.

• ولكن تعارض الهوى مع الشريعة تُنقص من قدر الإيمان, فالإيمان الكامل يجعل الهوى تابعًا لمراد الله سبحانه وتعالى.

• وهكذا الإنسان مع الشريعة.

نماذج مبهرة من السلف

أمثلةً لنماذج مبهرةً من السلف في تطويع الهوى ليوافق الشريعة.

• عمر رضي الله عنه عندما سمع النبيﷺ يقول (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من والده وولده والناس أجمعين), فقال عمر والله يا رسول الله لأنت أحبُّ إلي من كل شيء إلَّا نفسي,
فقال النبيﷺ (لا يا عمر حتى أكون أحبَّ إليك من نفسك), فقال عمر الآن يا رسول الله أنت أحبُّ إلي من نفسي.

• وأعجب من ذلك حديث جابر بن عبد الله عندما دخل مع النبيﷺ بيته عند السيدة عائشة, فقال النبيﷺ للسيدة عائشة (ما عندنا من الطعام فقالت ما عندنا إلَّا الخل, فقالﷺ نعم الإدام الخل), فقال جابر فما زلت أحبُّ الخل حين سمعت ذلك من رسول اللهﷺ مع أنه لم يكن يحبُّ الخل.

• جلس أنس رضي الله عنه في مجلس مع النبيﷺ فيه طعام وكان فيه«دُباء» شيء مثل قرع العسل وكان النبيﷺ يحب «الدُباء ويتتبعه» فيقول أنس فما زلت أحب الدُباء من يوم إذ, وهو لم يكن يحبه.

فإذا كان هذا حال شخص في عادات النبيﷺ فما بالك إذا قيل أن هذا مستحب أو واجب أو هذا أمر الله وهذا أمر النبيﷺ؟, فالأكيد أنه سيغير هواه ليتفق مع مراد الله.

الحديث الثاني والأربعون

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ يَقُولُ: قَالَ اللهُ تَعَالَى: (يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوتَنِي وَرَجَوتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَو بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَو أَتَيْتَنِي بِقِرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لاَ تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بِقِرَابِهَا مَغْفِرَةً)
رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

بيان سعة رحمة الله تعالى

ذُكر في الحديث ثلاثة أعمال توصل لمغفرة الذنوب.

1-الدعاء. 2- الاستغفار. 3-التوحيد.

وقد أحسن الإمام النووي في ختم الكتاب بهذا الحديث لأنه مُتسق مع طريقة الشريعة فإن الأعمال تُختم بالاستغفار.

بل إن حياة النبيﷺ انتهت بالاستغفار، فمن آخر ما نزل عليه كانت سورة النصر وأمره الله أن يستغفر في آخر حياته.

الدعاء سبب عظيم من أسباب المغفرة

«إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي».

- إذًا مجرد دعاءك لله فهذا سبب من أسباب المغفرة.
- فإذا دعوت الله بأي شيء ورجوته يُغفر لك ذنوبك.
- ولكن المقصود بالدعاء هنا ليس الدعاء بشكل غافل ولاهٍ.
- فيجب الاهتمام بجودة الدعاء ليغفر الله لك.

من أسباب المغفرة كثرة الاستغفار

«يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك».

وهذا دليل على المبالغة أنه مهما فعلت واستغفرت الله يغفر الله لـــــك فاحرص أن يكون لك ورد استغفار من قلبك حقًا استغفار من يريد أن يُعتق.

ما يعينك على جودة الاستغفار:

1- أن تكثر من استحضار سيئاتك وهذا ليس لتحطم نفسك ولكن لكي يكون في استغفارك جودة وحرارة.
2- استغفر وأنت تستحضر ستر الله عليك طوال مدة معصيتك.
3- استغفر وأنت تستحضر نعم الله عليك على الرغم من ذنوبك فسيتكون عندك الحياء من الله.
4- التفكر في أحوال العُصاة يوم القيامة وندمهم ورغبتهم في العودة للدنيا ليصلحوا وكل هذا موجود في القرآن والسنة.
5- لا تستغفر وأنت تشعر أنك تمن على الله بل استغفر وأنت طمعان في الله، تعلم من نبينا إبراهيم عليه السلام.
6- لا تمل من تكرار الاستغفار وإن تكرر الذنب فإن الله لا يمل حتى تملوا.

التوحيد سبب للمغفرة

«يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم أتيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة».

- وهذا فضل التوحيد، فالمشركون والكفار لا يُغفر لهم أبدًا.
- فالموحد هو الذي لديه أمل أن يُغفر له وكل ما ارتقى الإنسان في التوحيد وقويت عقيدته كان تعرضه للمغفرة أعلى بكثير.
- لذلك في حديث البطاقة: غفر الله له بقول لا إله إلا الله.
- ويجب أن تضع التوحيد في الدعاء.

النبيﷺ اعتبر هذه الأدعية من أعظم الدعاء:-

- (اللَّهمَّ إنِّي أسألُكَ بأنَّ لَكَ الحمدُ لا إلَهَ إلَّا أنتَ المنَّانُ بديعُ السَّمواتِ والأرضِ يا ذا الجلالِ والإكرامِ يا حيُّ يا قيُّومُ).
- (اللهمَّ إنِّي أسألُكَ بأنِّي أشهدُ أنك أنت اللَّهُ لا إلهَ إلا أنتَ الأحدُ الصمدُ الذي لم يلدْ ولم يولدْ ولم يكنْ له كفُوًا أحدٌ أن تغفر لي وأن ترحمني).

ما يشمله تحذير الشرك

«أن تشرك بي شيئًا»:

يجب على الإنسان أن يحذر من الشرك الأكبر والشرك الأصغر.

أمثلة الاحتراز من الشرك الأكبر:-

1- دعاء لغير الله.
2- النذر لغير الله.
3- عبادة القبور من دون الله.
4- السحر.
5- اعتقاد أن غير الله يعلم الغيب.

أمثلة الاحتراز من الشرك الأصغر:-

1- الحلف بغير الله.
2- تعليق التمائم.
3- التطير أو التشاؤم.

وغير ذلك من الأمثلة ولتعلم كل صور الشرك الأكبر والأصغر وتجتنبه تعلم العقيدة، فيوجد سلسلة أصول الأيمان.
فإذا وصلت للموت وأنت لا تشرك بالله شيئًا سيغفر لك ذنوبك مهما كانت ولو كانت مثل الأرض وما فيها.